

وقد أمّنا هذا عنك « قال : « نعم » فشكره ودعاه ، وأعجب الشيعى ما رأى من نبهه وجزالة منطقته ، فأمر بحفظه وحفظ من كان معه ، ولم يزل في صحبه إلى أن دخل معه إفريقية .

* * *

المائة الرابعة

٢١٥ - المنصور بن القائم بن المهدي

هو أبو الطاهر إسماعيل بن محمد بن عبيد الله الشيعى . فوض إليه أبوه عهده يوم الاثنين لسبع خلون من رمضان سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ، وهو إذ ذاك ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فصلى بالناس في عيد الفطر من هذه السنة وخطب خطبة بليغة .

ثم توفى القائمُ على إثر هذا يوم الأحد لثلاث عشرة / خلون من شوال ، [١٩٥-ب] فكتم المنصور موته وابتدأ بقتال أبي يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد اليَفْرَني الإباضى صاحب الحِمَار^(١) وقد استفحل أمره وأعضل شره حتى عجز عن مقاومته القائمُ ، فتغلب على أعمال إفريقية ، وحصره بالمهدية ، ثم انتقل إلى سوسة ، فهزمتها بها أوائلُ

(١) سُمى أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد بصاحب الحمار لأنه كان يركب حماراً . ونسبه الكامل وتاريخه في البيان المغرب نقلاً عن إبراهيم الرقيق ومؤرخ يسمى ابن سعدون يبدو أنه كتب تاريخ ثورة أبي يزيد بالتفصيل ، لأن ابن عذارى يقول إنه يذكر أنصار أبي يزيد في أول قتال له مع أبي القاسم الشيعى « رجلا رجلا » (انظر ج ١ ص ٢١٦)

جيوش المنصور ، ثم خرج بنفسه في أتباعه من المهديّة يوم الأربعاء اسبع بقين من شوال وهو في قلّة من عبيده وخدمه ، حتى انتهى إلى سوسة ، فنزل بظاهرها ، وبلغه أن أهل القيروان لما قصدوا أبو يزيد مفلولا سبّوه ومنعوا أصحابه دخول البلد ، وقتلوا جماعة ممن دخل منهم ، فكتب إليهم كتاباً يؤمنهم ، ولم يعد المنصور من وجهته هذه حتى أمكنه الله من أبي يزيد بعد محاصرته بالقلعة التي لجأ إليها^(١) . وكان يقول في سفره كله : « إن أنا لم آخذ أبا يزيد وأسلخه فلست بابن فاطمة ولست لكم بإمام » .

وأظلم عيد الأضحى من سنة خمس وثلاثين وهو محيط بأبي يزيد في قلعته ، فركب إلى المصلى فصلى بالناس ، ثم خطب وعرفهم في خطبته بموت أبيه القائم ، ونحر بدنة بيده ، وانصرف إلى مضر به وانصرف الناس مسرورين بخلافته موقنين بيمن تقيته وبركة دعوته . وكتب أهل العسكر إلى من وراءهم بالقيروان والمهديّة فشماهم السرور .

ودخلت سنة ست وثلاثين ، ففي الحرم منها ظفر المنصور بأبي يزيد بعد موافقات لا يفي بها الوصف ، وقيد إليه مثقلاً بالجراح ، فأمر بحمله إلى المضرب وهو [يجود بنفسه]^(٢) لما به .

وليلة الخميس آخر الحرم هلك عدو الله ، فسُلخ وحشّى جلده بالتبن حتى ظهرت صورته^(٣) ، ولما فرغ من فعله ذلك بأبي يزيد وحضرت صلاة الظهر تقدم

(١) ذكر ابن عذارى (٢٢٠/١) أن هذه القلعة تسمى بحصن أبي يزيد في جبال كتامة . وجبال كتامة في المنطقة المعروفة اليوم باسم بلاد القبائل ، وتكتب في الخرائط الفرنسية La Cabilie إلى شرق مدينة الجزائر الحالية .

(٢) ابن الأبار ينقل هنا عن ابن حماد البرنسي ، وقد استعنت بنصه كما نشره فندير هايدن (ص ٢٤ وما بعدها) في تقويم هذا الجزء من كلامه .

(٣) عند ابن حماد : « فأمر إسماعيل بسلخه وحشو جلده قطناً ، وخيطت أوصاله حتى تمت جثته ، وصار كأنه نائم ، وقد دلهمه ومُلح ، وأمر بحمل جميع ذلك » (ص ٢٥) .

إليه [.]^(١) ثم قالوا : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، صلاة الظهر رحمتك الله » والناس في غفلة ، فكبروا وتباشروا ، وبعد صلاة العصر من ذلك اليوم [دخل عليه الناس]^(٢) وهنوه بالفتح فبسط آمالهم ووعدهم الغنائم والأموال ، فأثنوا على [^(٣) شجاعته وسماحته [.]^(٤) دوكا ، ثم ارتحل يوم السبت غرة صفر إلى [المسيلة]^(٥) ومنها توجه إلى تاهرت فنزل / [١٩٦ - ١] عليها يوم الثلاثاء لست بقين من صفر من هذه السنة ، وأقام بها إلى [^(٦) يوم الاثنين غرة شهر ربيع الأول ، وقد هرب أمانه اثنا [ثرون ، ثم كتب إلى أهل القيروان]^(٧) فأمنهم ووعدهم خيراً وكان وصوله يوم الاثنين غرة شهر ربيع الأول إلى قصره بالمنصورية - وقد بناه [فتاه « مُدَامٌ » أثناء]^(٨) غيبته - عند صلاة الظهر من يوم الخميس ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين . وفي اليوم الثاني من وصوله أمر بإخراج أبي يزيد على جمل وقد ألبس قميصاً وركب وراءه من يمسكه ، وعليه الطرطور وقردان على كتفيه ، فطيف به سُمَاطات القيروان ثلاثة أيام متواليات . ثم أمر بحمله إلى المهدي فطيف هناك به إلى أن مزقته الرياح .

ولم تطل مدة المنصور ، فتوفى ليلة الجمعة آخر شوال سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وغسله جعفر بن علي الحاجب المعروف بابن الأندلسي ، وصلى عليه ابنه وولي عهد أبو تميم معد بن إسماعيل ، ودُفن ليلاً في قصره بالمنصورية وهو ابن أربعين

(١) بياض في الأصل .

(٢ و ٣) أكلت الناقص هنا بما يقيم المعنى اعتماداً على نص ابن حماد .

(٤) لم أستطع استكمال هذه العبارة .

(٥) عن ابن حماد (ص ٢٦) .

(٦) أكلت هذه العبارة بناء على ما عند ابن حماد (ص ٢٦) .

(٧) أكلت هذه العبارة من سياق كلام ابن حماد ، نفس الصفحة .

(٨) أكلت هذه أيضاً مستعيناً بما ذكره ابن حماد ، ص ١٩ وما بعدها .

سنة كاملة . ومولده برقادة سنة إحدى وثلاثمائة ، وكانت ولايته سبع سنين
وثمانية عشر يوماً .

وفي كتاب أبي الحسين الروحي الإسكندري أن المنصور ولد سنة اثنتين
وثلاثمائة ؛ قال : وولي في شوال سنة أربع وثلاثين وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ،
وظفر بأبي يزيد في المحرم سنة ست وثلاثين ، وتوفي يوم الجمعة منسلخ شوال سنة
إحدى وأربعين وثلاثمائة ، فكانت ولايته سبع سنين

وفي « المقتبس » لابن حيان : أن الناصر عبد الرحمن بن محمد قدم عليه أيوب
ابن أبي يزيد الخارج على المشاركة آل عبيد الله الشيعي الدعي الناجم بأرض
إفريقية ، رسولا لوالده أبي يزيد ، فني به رسلا قبله يسأل القوة على حرب هؤلاء
الملحدين المغوين للأمة ، وذلك يوم السبت لست بقين من ربيع الأول سنة خمس
وثلاثين ، فقمعد له الناصر قعوداً نخمًا ، وأوصله إلى نفسه وأكرم لقاءه وسمع منه
وأجل الرد عليه ، وأمر بإنزاله في قصر الرصافة وقدامه [ما يُحتمل به]^(١)
لأمثاله . فأقام هناك تحت رعي وكرامة موصولة ، إلى [أن ورد عليه]^(٢) منها
قوم من ناحية [إفريقية معهم]^(٣) رسول لأبي يزيد [إلى ولده أيوب]^(٤) ،
يذكر كربة أبي يزيد على [المسيلة من بلاد]^(٥) إسماعيل [لمنصور حفيد أبي
عبيد الشيعي المذكور ، وأنه يتأهب]^(٦) / للشهود نحوه بالقيروان ، وأنهم
[بلغهم]^(٧) أن أبا القاسم [محمد القائم بن عبيد]^(٨) الله [بعد أن أوصى]^(٩)
إلى ابنه في الإمارة هلك في [يوم الأحد الثالث عشر من شوال]^(١٠) من هذه
السنة — يعني سنة خمس وثلاثين^(١١) — وولي مكانه إسماعيل ابنه [الملقب

(١ - ١٠) وردت هذه العبارة التي نقلها ابن الأبار عن ابن حيان مقطعة مليئة بالحروم ،
فاجتهدت في سد خللها مستعيناً بما أعرف من أسلوب ابن حيان في هذه المناسبات . والإضافات
كلها واردة بين أقواس .

(١١) كذا في الأصل ، والصحيح كما ورد في تاريخ ابن حماد سنة ٣٣٤ : « التاريخ الدقيق
لوفاة محمد القائم غير معروف ، لأن ابنه إسماعيل أخفى الخبر حتى تم له النصر على أبي يزيد » .

بالمنصور] ^(١) غير أنهم كتموا موته لما هم عليه من حال الحرب . [وطلب أبو زيد إلى ابنه أن يستصحب معه فـ] رसान ^(٢) المدد ، فاستبصر الناصر في التوقف عن إمداد أبي يزيد إلى أن يرى مآل أمره ، وعلل ابنه أيوب ورُسُلَه بموعده .

٢١٦ — ابنه المعز لدين الله ، أبو تميم معد بن إسماعيل

ابن محمد بن عبيد الله

وَلَىَ بعد أبيه وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقيل أربع وعشرين . مولده بالمهدية سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، وأقام من يوم وفاة أبيه وإفضاء الأمر إليه في تدبير الأمور إلى يوم الأحد سابع ذى الحجة من سنة إحدى وأربعين ، وفيه قعد للخاصة وكثير من العامة فسلموا عليه بالخلافة ، وتسمى بالمعز لدين الله ، ولم يُظهر على أبيه حزناً ، وبعث إلى المهديّة في عمومته وأهل بيته ، فوردوا عليه وبايعوا له وحضروا معه عيد الأضحى ، وخرج فصلى بالناس وخطب ونحر .

وكان من أهل البيان والبلاغة والخطابة ، وله مع أبي القاسم محمد بن هاني الأندلسي زعيم شعرائه وقاصر أمداحه — على غُلُوِّ فيها — عليه أنباء مذكورة ، وهو أحد ملوك بني عبيد الله العظام .

وساعده الحال فللك مصر دون [كبير مشقة] ^(٣) ، وانتقل إليها من إفريقية في آخر دولته [في شعبان سنة ٣٦٣] ^(٤) . ولم تزل في يده وأيدي بنيّه متصلة

(٢١) هاتان العبارتان أضفتها للسياق .

(٤٣) وهاتان أيضاً .

بإفريقية ومنقطعةً منها نيفاً على مائتي سنة . وآخرهم مُلكاً بها أبو محمد عبد الله العاضد وهو ابن يوسف بن عبد المجيد بن محمد ابن عم معدّ المستنصر بالله بن علي الطاهر بن منصور الحاكم ابن نزار العزيز بن معدّ المعز هذا .

ولم يتقلد سلطانهم من أول قيام المهدي عبيد الله إلى حين انقراضه من أبوه غير خليفة إلا الحافظ^(١) . والعاضد ، وكانت وفاته يوم السبت للنصف من جمادى الأولى سنة أربع وستين وخمسمائة في آخر خلافة المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتدي بن المستظهر بن المقتدي بن [محمد بن] القائم بن القادر [١٩٧-١] [أبي العباس أحمد] بن إسحاق بن المقدر بن المعتضد بن الموفق بن المتوكل / [ابن المعتصم] بن الرشيد بن المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله ابن العباس رضي الله عنهم^(٢) .

وأغزى المعز جوهرًا خادمه وكاتبه إلى المغرب ففتح عليه ، ثم أغزاه مصر ، فافتتحها في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بعد وفاة كافور الإخشيدي بسنة أو نحوها .

وابتنى له القاهرة فانتقل المعز^(٣) إليها في آخر شوال سنة إحدى وستين ، ووصل إلى الإسكندرية لست بقين من شعبان سنة اثنتين وستين ، واستقر

(١) لم يرد من هذا الاسم إلا أوله : « الحافظ » وقد أكلته . وابن الأبار على حق في هذه الملاحظة ، فإن الحافظ هو ابن أبي القاسم محمد (ولم يكن بخليفة) ابن المستنصر ، والعاضد هو ابن يوسف (ولم يكن بخليفة) ابن الحافظ . وبقيّة خلفاء الفاطميين آباؤهم خلفاء .

(٢) راجعت هذا النسب وصوبته بين حواصر .

(٣) يريد أنه سار إلى مصر من المغرب في هذا التاريخ ، لأنه لم يستقر في القاهرة إلا بعده

ذلك كما سيجيء .

بقصره [بالقاهرة]^(١) يوم الثلاثاء السابع رمضان ، وقيل الخامس منه .

واستخاف على إفريقية أبا الفتح يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي ، وهو الذي يقال له بلقين ، فولّيا بعده ولده - طائعين للعبّيديين ومُنْتَزِينَ عليهم - إلى أن تغلب الروم على المهديّة في إمرة آخر هؤلاء الصنهاجيين وهو الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس بن المنصور بن أبي الفتح المذكور ، وذلك في سنة أربع وأربعين وستائة .

[ودام مُلك المعز بعد]^(٢) استئثاره بملك مصر [إلى]^(٣) أن توفي بالقاهرة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وستين وثلاثمائة ، فكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام .
وفي كتاب أبي إسحاق الرقيق أن خلافته كانت أربعاً وعشرين سنة ، وأن عمره عند وفاته بلغ ثمانياً وأربعين سنة ، مولده سنة ثمان عشرة وثلاثمائة .

بلغت مقابلته من الأصل المنقسخ منه جهد الاسـ[تطاعة]

نجز الكتاب بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه والحمد لله حمد الشاكرين ،
وصلى الله على سيد الأولين والآخرين محمد وآله وسلم في الثالث
عشر من شعبان [سنة] تسعين وتسعمائة على يدي عبّيد الله المقرئ
المعترف عليّ بن محمد الكفّاد الأندلسي ، لطف الله به^(٤)

(١) (٣٠٦ و ٣٠٧) النكلمة من ابن حماد ، ص ٤٤ .

(٢) (٤٠) إلى هنا ينتهي كتاب « الحلة السراء » ، وتلى ذلك في المخطوط أوراق ضمت إليه .
خطأ من كتاب « العبر » لأبي بكر أحمد بن سعيد بن الفيّاض . وقد درسنا هذه الأوراق في بحثنا
عن « الجغرافية والجغرافيين في الأندلس » (ص ١٠٦ - ١٠٧) .